تأليف القلوب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحياة رحلة وإن طالت فهي قصيرة، ومهما كانت صافيةً فهي كَبَدٌ في جوهرها وامتحانٌ في أصلها، والألفةُ بين القلوبِ تُهوِّن الرّحلة، وتُعين على مشقَّاتها؛ لذا تحرص شريعتنا على تأليف القلوب، وتقوية أواصر المحبة والإخوة.

يُعدُّ تأليفُ القلوبِ مقصداً من مقاصد الإسلام، وغايةً نبيلةً من غاياته؛ لأنَّ في ائتلافِ القلوب قوةً للمسلمين، فيكونون كالجسد الواحد فيما بينهم، تغمرهم المودة والرحمة والتعاطف؛ فهم كالبنيان المرصوص في وجه أعدائهم، وقد أمر الله -تعالى- بهذا التآلف ونهى عن التفرّق وذكّرنا بنعمته علينا، حيث قال ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

آل عمران [١٠٣].

وقد أنعم الله -تعالى- على نبيه -صلى الله عليه وسلم- بتأليف قلوب المؤمنين، ومنَّ عليه بهذه النعمة العظيمة، حيث قال:

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنفال: ٦٣

فالتفرّق والتنازع وعدم طاعة الله ورسوله هي سبب الفشل والهزيمة والهلاك، قال -تعالى-:﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾الأنفال: ٤٦

فيجب على المسلم أن يكون سبباً في تآلف القلوب، وأن يسعى إليه بشتى الوسائل.

عناصر الموضوع

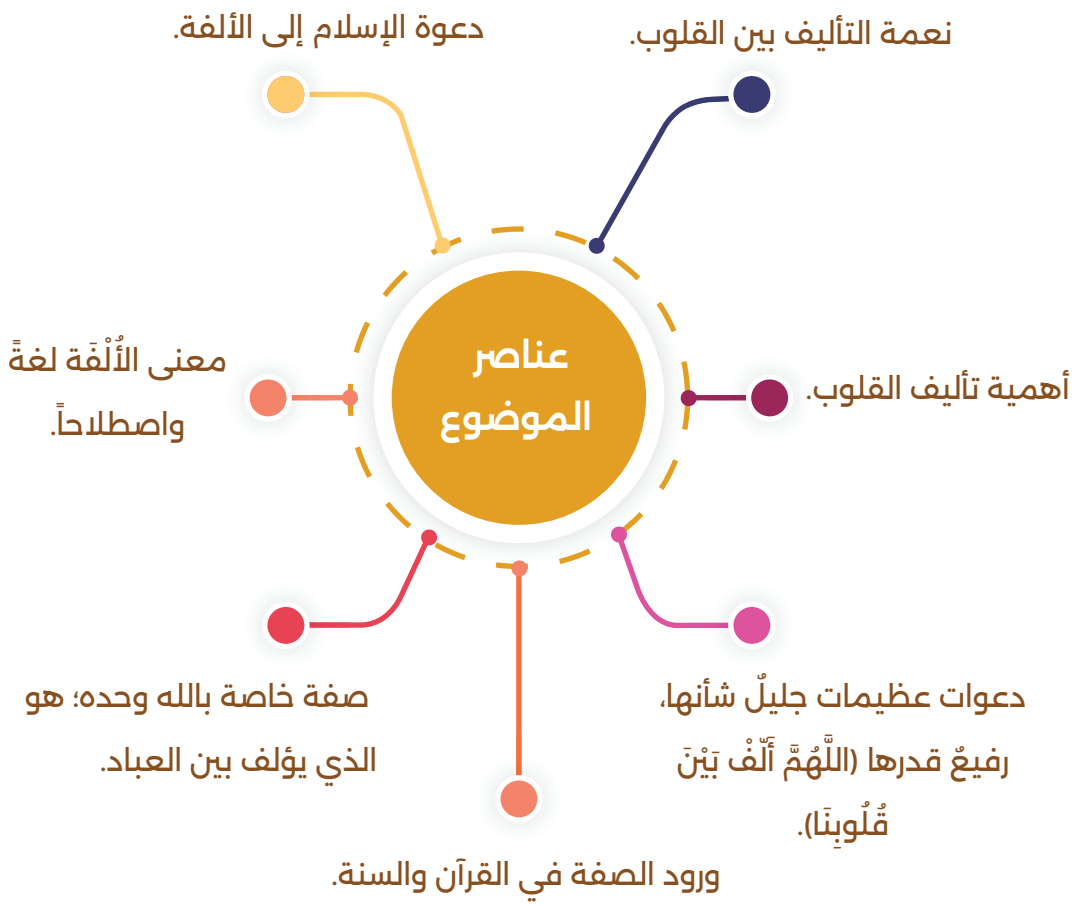

نعمة التأليف بين القلوب

إنه من نعم الله العظيمة على عباده المؤمنين؛ نعمة التأليف بين القلوب، حيثُ قال تبارك وتعالى ممتنًّا على نبيه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ الأنفال [٦٢،٦٣].

القلوب بيد الرحمن -جلّ جلاله- يجمعها ويؤلف بينها فيكون فيها الإيمان والهداية والمحبة والمودّة والإخاء، أما الضغائن والعداوة فلا تزول بالأعراض الزائلة، وإنما تزول بالإيمان الصادق.

كانت العداوة والبغضاء منتشرةً بين قبائل العرب، فقد كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، ولكنَّ الله تعالى قطع شرَّ ذلك بنور الإيمان، وألَّفَ بينهم بحكمته تعالى.

التأليف بين القلوب هو جماع التواد والمساندة، فجاء التأليف بين القلوب لأنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أُرسِلَ لقومٍ ذوو عصبية وحمية؛ وهم قبائل متفرقة تقوم الحروب بينهم لأتفه الأسباب، ولو أنَّ القلوب ظلت على تنافرها لما استطاعت هذه القبائل أن تواجه أعداء الإسلام، ولشغلتها حروبها الداخلية عن نصرة الدين والدفاع عنه، لكنَّ الله ألف بينهم، وبعد أن كانوا أعداءً أصبحوا أحباباً.

الله -سبحانه تعالى- ألف بين قلوب المسلمين، بحيث أصبح الإسلام في قلوبهم وأعمالهم وأسلوب حياتهم وأقوى رابطة فيما بينهم، فأصبحت أخوة الدين أقوى من أخوة النسب، وحين تتآلف القلوب فهذا أقوى رباط.

فجمع الله -سبحانه وتعالى- قلوب (الأوس والخزرج)، فرفع الله -عزوجل- هذه العداوة وأصبحوا أنصاراً وأعواناً متحابين متآلفين بعد العداء والضغينة والفرقة، وائتلفت قلوبهم باتباع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتفّوا حوله، قال عليه الصلاة والسلام:« إنَّ المسلم إذا لقي أخاه المسلم فأخذه بيده تحاتت عنهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحار»

الراوي : سلمان الفارسي | المحدث : المنذري | المصدر : الترغيب والترهيب الصفحة أو الرقم : ٣٧٤/٣ | خلاصة حكم المحدث : إسناده حسن

وعن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى وسلم عليه -:« إنَّ من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله بينهم على غير الأرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إنَّ وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » الراوي : عمر بن الخطاب | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح أبي داود الصفحة أو الرقم: ٣٥٢٧ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

هذا وبعد أن وفق الله -سبحانه وتعالى- فيما بين الأوس والخزرج فإنَّ هؤلاء جميعاً أصبحوا (أنصاراً) واستقبلوا الصحابة المهاجرين الذين أتوا من مكة، وبذلك تحققت (المؤاخاة) بين المهاجرين والأنصار.

وبعد: فبفضل الله تبارك وتعالى -ورحمته ومشيئته- يؤلف قلوب المسلمين، ويجمعهم على الإيمان والمحبة والإخلاص والإخاء، لأنَّ كل عمل يقوم به الإنسان إنما ينشأ عن عقيدة في القلب، ونحن نرى العلماء في حياتهم يعيشون سنوات طويلة، ويحرمون أنفسهم من متع الحياة الدنيا لأنَّ العلم قد تحوَّل إلى عقيدة في قلوبهم.

﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾

إنَّ المسألة في تأليف القلوب، لم تكن مسألة احتياج إلى مال؛ لأنَّ المال لا يمكن أن يعطي الحب الحقيقي، فهناك بين الناس ارتباط مصالح وارتباط قلوب، ارتباط المصالح ينتهي بمجرد أن تنتهي هذه المصالح، لكن ارتباط القلوب يتحدى كل الأزمات.

فالعرب الذين ألف الله بين قلوبهم لم يكن يهمهم المال، بقدر ما تهمهم الحمية والعصبية فغالبيتهم يملكون الثروات، ولكن الفرقة فيما بينهم نابعة من الحمية والعصبية التي تتركُ في القلوب غلاً وحقداً.

ويدلُّ قوله ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ على أنه ما دام الله سبحانه وتعالى ذو عزة فهو لا يغلب، وما دام حكيماً فهو يضع الأمور في مكانها السليم، والله سبحانه وحده هو القادر على أن يجعل القلوب تتآلف؛ لأن القلوب بيدِ الرحمن يُقلِّبها كما يشاء.

تأثير الألفة بين القلوب

الألفة بين القلوب خاصية وميزة مهمة جداً، ولها تأثيرات إيجابية داخل البيوت المسلمة، وفي مجتمعاتنا على نحو مستمر؛ فهي تولد المحبة والمودة بين الأشخاص.

حيث تؤدي إلى استمرار الحياة بشكل سلمي بين البشر، وتعمل على إصلاح الحال، وإنشاء حياة مستقرة هادئة تكون نواة لمستقبل جيد، بعيداً عن الصراعات والمشكلات والأزمات.

تأليف القلوب يكون في:

ومعنى التأليف بين القلوب:

ميل القلوب إلى بعضها البعض محبةً وإخاءً ومودةً وصفاءً.

يعني: جعل بعضها يألف بعضاً ويُحب بعضاً ويميل إلى هذا الحب ويألفه، ولا ريب أنَّ اجتماع قلوب المؤمنين وتأليفها من أسباب القوة والتمكين في الأرض، وتعظم الدعوة إلى هذا الأصل العظيم في زمن الفتن واضطراب الأحوال، وهذا من نعمة الله علينا في هذه البلاد حيث نرى الاجتماع.

وأصل التأليف بين القلوب يحصُل:

عندما يقذف الله تعالى محبة عبده في قلوب العباد؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ مريم [٩٦]. قال مجاهد: يُحبِّبُهم ويُحبِّبُهم إلى خلقه تفسير الطبري، ج١٨، ص [٢٦٢].

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ قَالَ لِجِبْرِيلَ قَدْ أَحْبَبْتُ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ [الموطأ، باب ما جاء في المتحابين في الله].

الْحُبُّ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَرِضَاهُمْ عَنْهُ فَتَمِيلُ إِلَيْهِ الْقُلُوبِ وَتَرْضَى عَنْهُ [صحيح مسلم، ج١٦، ص١٨٤].

ومن صور ذلك: ما حكاه ربُّنا تبارك وتعالى عن موسى عليه السلام، إذ قال: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ طه [١٣٩]؛ أي: حببتك إلى خلقي.

وقال تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ الأنفال[٦٣].

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾أي: فاجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة اللّه، فلو أنفقت ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة ﴿ مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا اللّه تعالى.

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ ومن عزته أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة كما قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾

التأليف بين القلوب هي صفة خاصة بالله وحده هو الذي يؤلف بين العباد

سوف نقف على صفة من صفات الله -سبحانه وتعالى- أثبتها لنفسه وأثبتها له النبي -صلى الله عليه وسلم-.

وصفة الله -عز وجل- أثبتها في القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنفال [٦٣].

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ آل عمران [١٠٣]. وهذا إثبات لله -سبحانه وتعالى-، لنفسه أنه يألف بين القلوب.

ووردت الصفة في السنة النبوية:

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ: "اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعَمِكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا". الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٠٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه مسلم (٤٠٣)

الألفة لا تتحقق إلا بالله -سبحانه وتعالى-:

أثبت الله لنفسه أنه وحده الذي يألف بين الأهل والأقارب الذين ابتعدوا أو لا يريدون التعامل معك، أو ربما لا يوجهون لك دعوة في مناسباتهم أو اجتماعاتهم.

عندما يتحدثون يتكلمون على هيئة مجموعات، تحاول كسب الود ولكن لا يوجد مجال، وفي مرات عديدة يتم تجاهلك أو قد لا يردون عليك.

وهذه المجموعة نفسها لها مجموعة أخرى، يكونون معهم في غاية الانسجام والوئام.

تُريدُ أن تعرف لماذا يحصل هذا الأمر؟ وبيد من؟ وكيف تتم مجاهدة النفس في هذا الوضع؟

أولاً: لا بدَّ أن نعرف أن التأليف بين القلوب بيد الله -عز وجل- وحده، والتأليف هي صفة من صفات الله -عز وجل- باب الأسماء والصفات رغم أنه واسع، ولكن فيها تفرد مطلق لله -عز وجل- وأن الله -سبحانه وتعالى- هو وحده الذي يألف بين القلوب.

إذاً ما هي خاصية هذه الصفة؟

الله -عز وجل- وحده هو الذي يؤلف بين قلوب العباد، فعندما يقال أن الله من صفاته أنه يؤلف فسوف أنفي هذا الصفة عن كل البشر.

مؤلف القلوب هو رب العباد -سبحانه وتعالى-، هو الذي يؤلف القلوب، يؤلف بين الأشياء، ويؤلف بين مخلوقاته.

وهذه صفة ذاتية فعلية وليست لأحد، إذا كان الله هو الذي يؤلف يعني أنفي هذه الصفة عن كل البشر.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ الأنفال [٦٣]. يعني: حتى تألّف بين قلبين أنت لن تألّف ما تفرق واختلف، أخذت كل الأسباب، أنفقت وقتك، جمعت جمعك، وأخذت كل الأسباب تستطيع؟ لا تستطيع.

لماذا؟ لأن الله وحده هو الذي يؤلف بين القلوب، وهذا فيه دلالة على حكمته وعزته.

نصل إلى نتيجة أن عدم التآلف هذا أمر الله -عز وجل- وهي حكمته، وفي الحياة الخاصة نتعرض إلى الكثير من مواقف عدم الائتلاف مثل: عندما يسعى المرء أن يقرب بينه وبين قلب أخ له أو صديق أو أخت أو زميل، ويأخذ كل الأسباب: أسباب شرعية وأسباب كونية ونفسية وأسباب حسية.

فمن حكمة الله -سبحانه وتعالى- أنه لا يحصل هذا التأليف؛ لأنّه لو حصل وألف بين قلوبهم، وأتت الأمور على مراده فقد ينسى فضل الله سبحانه.

ففي مرحلةِ البعد فهو يدعو الله -سبحانه وتعالى- طوال الوقت، ويستعين بالله، ويستغفره، ويأخذ بكل الأسباب متوكلاً عليه.

فهذا العبد جعلَ الله حاجته في أن يسعى في تأليف قلبه وقلب أخيه، فهو طول الوقت يدعو وقلبه معلق بالله، ولكن الله -سبحانه وتعالى- حكيم لا يعطيه هذا الأمر.

لأنه يعلم -سبحانه وتعالى- أنه لو تمَّ له هذا التأليف فإنه سينسى ربه، وسيفقد هذه العبادة، وسيفقد هذه الاستعانة، وسيفقد الذل بين يدي ربه، وسيترك هذا الأسلوب الطيب، فهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى.

ولكن العبد طوال الوقت يبقى مُتنغِّصاً في حياته، حتى يبقى قلبه عند ربه، وهذا من حكمة الله -عز وجل- وهو العزيز الحكيم؛ كل هذا حتى يحفظ له إيمانه.

يعني هل أنَّ الله -عز وجل- غير قادر؟

كلا، فهو العزيز الحكيم.

فمن الممكن بأقل من كل الذي يعمله العبد للتقريب بين القلوب، أن يأتي الله -سبحانه وتعالى- بقلبه وقلوبهم، وأن يُسخِّرَ هذه القلوب له.

سبحان الله، لكن بعزته وحكمته يؤلفها أو لا يؤلفها، مهما أخذت من الأسباب.

فإن كان في التأليف حكمة بالغة، فسوف يألفها بدون أسباب فهو العزيز سبحانه.

مثلاً: صديقك بعد انقطاع دام ٣٠ سنة وأنت تبحث عنه في الشرق والغرب، ثم يحصل على رقمك ويكلمك بكل بحب واشتياق وهو الذي بدأ المقاطعة وعدم الاتصال.

أو قد يأتي بلا ميعاد، أو يتصل بك، أو يرنّ جرس المنزل ويدخل عليك، وقد كانت أخباره مقطوعة منذ سنين.

هم يبتعدون وتحصل القطيعة -بسبب أو بغير سبب- ثم إذا شاء الله يعودون.

كل هذا تربية من الله -سبحانه وتعالى- يعلمك الاستعانة به، والتوكل عليه، وأنه وحده الذي يملك تدبير شؤونك وشؤون غيرك، ويدبرها حسب مصلحتك.

فيأتون في الوقت المناسب عندما يكون إيمانك قوياً بالله فلا يستطيعون التأثير فيك، ولا يبعدونك عن الله، بل تتجلى حكمة الله، إن أمره كله خير، بحيث يأتون إليك وأنت وهم في أحسن حال، اجتماعك بهم سيسوده الاحترام والود.

إذا كان أمر الائتلاف بيد الله- عز وجل-، هل أدعو أم لا؟

لابد أن تعلم أنك مازلت عبداً واقفاً عند باب ربك في كل أحوالك، ولو علم العباد أنَّ الدعاء يحبه الله -سبحانه وتعالى- بغض النظر عن إعطائك أو عدم إعطائك، لتمنَّى العبد ألَّا يستجاب له حتى يبقى عبداً قريباً عند باب ربه، وما أنشأت الحاجات إلا لتنشأ العبادات، وما نغَّص علينا في أمور حياتنا في الدنيا إلا لنبقى عبيداً في الأرضِ لربٍّ في السماء.

ادعُ الله أن يألف بين القلوب وناجِ ربك، واسأله من فضله، وأنت تسيرُ في الدنيا اجمع قلبك على أنَّ الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يألف القلوب ويسقي ويطعم، ويسخر لك أهلك ومن حولك، وتذكَّر في عقلك وإدراكك طوال الوقت أن الله وحده الذي يخفض ويرفع، ويقبض ويبسط ويضع.

ويعلمنا النبي -صلى الله عليه وسلم- دعوات عظيمات جليلٌ شأنها، رفيعٌ قدرها:

من الدعوات العظيمة النافعة لمثل هذا الأمر؛ ما رواه الحاكم في مستدركه وغيره عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُعَلِّمُنَا كَلِمَاتٍ: "اللَّهُمَّ أَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَنَجِّنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُلُوبِنَا، وَأَزْوَاجِنَا، وَذُرِّيَّاتِنَا، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَاجْعَلْنَا شَاكِرِينَ لِنِعَمِكَ، مُثْنِينَ بِهَا عَلَيْكَ، قَابِلِينَ لَهَا وَأَتِمَّهَا عَلَيْنَا". الراوي : عبدالله بن عباس | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٤٠٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه مسلم (٤٠٣)

شرح دعاء اللهم ألّف بين قلوبنا:

كأنك تقول "يا رب أدخل في قلوبنا المودة والمحبة لبعضنا البعض، واجعلنا متحابين متعاطفين فيما بيننا، وأبعد عنا الكراهية والبغضاء والحقد، ودلنا على طرق الخير، ووفقنا للسلامة من الشرور، والفوز بالهداية والطاعة، وأنقذنا من الآثام والذنوب الظاهرة والباطنة، وحصّن جوارحنا -من سمع وبصرٍ- من المعاصي فلا نرتكبها ولا نقربها، واحفظ أزواجنا من الزلل ووفقهم للعمل الصالح، ووفقنا لأن نكون من الشاكرين لنعمك التي لا تعد ولا تحصى، نشكرك ونحمدك عليها في كل حال، ونثني عليك ثناءً جميلاً، متحدثين بالنعم كما أمرت، فأكمل لنا نعمك وأدمها علينا واحفظها لنا".

وهي دعوات عظيمات تمسُّ الحاجة إليها، ولا سيما عند وجود الفرقة والاختلاف، وكثرة التشاحن والشتات، ووجود الحسد والتباغض بين أفراد أمة الإسلام.

أقوال السَّلَف والعلماء في الأُلْفَة:

عن مجاهد قال: رأى ابن عبَّاس رجلًا فقال: (إنَّ هذا ليحبُّني، قالوا: وما علمك؟ قال: إنِّي لأحبُّه، والأرواح جنودٌ مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف). روضة العقلاء لابن حبان ١٠٨

وعن الأوزاعيِّ قال: كتب إليَّ قتادة: إن يكن الدَّهر فرَّق بيننا فإنَّ أُلْفَة الله الَّذي ألَّف بين المسلمين قريب. الدر المنثور – جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)

وقال يونس الصَّدفي: (ما رأيت أعقل مِن الشَّافعي، ناظرته يومًا في مسألة ثمَّ افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثمَّ قال: يا أبا موسى، ألَا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتَّفق في مسألة). (سير أعلام النبلاء) للذهبي (١٦/١٠)

وقال السُّلمي: (وأصل التَّآلف هو بغض الدُّنْيا والإعراض عنها، فهي التي توقع المخالفة بين الإخوان). كتاب : (آداب الصحبة) (ص ٧٨)

وقال أبو حاتم: (سبب ائتلاف النَّاس وافتراقهم بعد القضاء السَّابق هو: تعارف الرُّوحين وتناكر الرُّوحين، فإذا تعارف الرُّوحان وُجِدَت الأُلْفَة بين نفسيهما، وإذا تناكر الرُّوحان وُجِدَت الفُرْقَة بين جسميهما). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص:١٠٨ المجلد (١)

وقال أيضًا: (إنَّ مِن النَّاس مَن إذا رآه المرء يُعْجَب به، فإذا ازداد به علمًا ازداد به عجبًا، ومنهم مَن يبغضه حين يراه، ثمَّ لا يزداد به علمًا إلَّا ازداد له مقتًا، فاتِّفاقهما يكون باتِّفاق الرُّوحين قديمًا). (روضة العقلاء) لابن حبان البستي (ص ١١٠).

وقال الماورديُّ: (الإنسان مقصود بالأذيَّة، محسود بالنِّعمة، فإذا لم يكن آلفًا مألوفًا تخطَّفته أيدي حاسديه، وتحكَّمت فيه أهواء أعاديه، فلم تسلم له نعمة، ولم تَصْفُ له مُدَّة، فإذا كان آلفًا مألوفًا انتصر بالأُلْفَة على أعاديه، وامتنع مِن حاسديه، فسَلِمت نعمته منهم، وصَفَت مُدَّتُه عنهم، وإن كان صفو الزَّمان عُسْرًا، وسِلمُه خَطَرًا). (أدب الدنيا والدين) (ص ١٤٦).

وقال ابن تيمية: (إنَّ السَّلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعيَّة، مع بقاء الأُلْفَة والعصمة وصلاح ذات البين). (الفتاوى الكبرى) لابن تيمية (٦/٩٢).

وقال الأبشيهي: (التَّآلف سبب القوَّة، والقوَّة سبب التَّقوى، والتَّقوى حصنٌ منيع وركن شديد، بها يُمْنَع الضَّيم، وتُنَال الرَّغائب، وتنجع المقاصد). (المستطرف) للأبشيهي (ص ١٣٠)

هناك أمور لا تُشْتَرَى بالمال!

قال تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾.

جاءت هذه العبارة في الامتنان على الرسول ﷺ بالنصر والتأييد، فمن أعظم أسباب النصر تآلف قلوب المؤمنين واجتماع الكلمة.

تحدث سبحانه في سورة الأنفال عن القلوب وكيف يمكن أن تتآلف، حيث يوضح سبحانه أمراً في غاية الأهمية بقوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنفال [٦٣].

جَمَع بين قلوبهم بعد التفرق، لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولكن الله جمع بينهما على الإيمان فأصبحوا إخوانًا متحابين، إنه عزيزٌ في مُلْكه، حكيمٌ في أمره وتدبيره.

وواضح جداً أن القلوب لا يمكن أن تعمل على تآلفها بالمال مهما بلغ، وكثر ما لم يألف الله بينها أولاً.

فمحبة الناس رزق عظيم من الله، وكنز ليس له ثمن، حتى لو أنفق المرء عليه كنوز الدنيا مجتمعة.

ليست وردة ولا زجاجة عطر، كل ما في الأرض لو قدمته لتأسر القلب ما استطعت ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ ﴾، فالقلوب لا يعلم ما بها وأسرارها ولا مفاتحها إلّا الله سبحانه وتعالى.

قال ابن عباس: إن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء، ثم قرأ ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ ﴾. (ابن كثير:٣٠٩/٢.)

وقد دلنا الرحيم على مفاتح القلوب، والطريق إليه هو طريق الإيمان والعمل الصالح، تجد أسراره في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦ ﴾ مريم [٩٦].

الألفة التي ألف الله بها بين قلوب عباده؛ هي من أجلِّ النعم التي تستحق من العبد شكراً دائماً ومستمراً.

ويبقى أجمل حب ذاك الذي ينزل عليك من السماء ..."عندما ينادي الرب يا جبريل إني أحب فلان فأحبه" *فيحبه أهل السماء والأرض*.

كما ورد في الحديث:

السعي للفوز بمحبة الله تعالى، لأنها السبب الرئيسُ لمحبة الناس، جاء في الحديث: (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إذا أحَبَّ عبدًا دَعا جِبريلَ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فقال: يا جِبريلُ إنِّي أُحِبُّ فُلانًا فأَحِبَّه؛ فيُحِبُّه جِبريلُ عليه السلام، ويُنادي في السَّماءِ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ فُلانًا فأَحِبُّوه؛ فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ويُوضَعُ له القَبولُ في الأرضِ، وإذا أبغَضَ عبدًا كان مِثلَ ذلك).الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٣٢٠٩ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٣٧)

نسأل الله من فضله.

أساس مهم لحصول الألفة بين الناس:

إنَّ الألفة بين الناس لن تكون إلا عبر دين الله، ولن يؤلف بين قلوب الخلق إلا شرع الله؛ فمهما حاول الناس أن يجتمعوا على أمر دنيوي، أو يتآلفوا على مصالح مشتركة، أو تجمعهم روابط شخصية؛ فإن هذا كله لن يؤلِّف بين قلوبهم، ولن يجمع شتاتهم، ولن يلمّ شعثهم، وإن حصل ذلك فهو مؤقت يزول بزوال السبب.

وقد يحصل بعد الاجتماع تفرقاً وتنافراً، وحقداً وحسداً، وكم رأينا من مصالحات واجتماعات الهدف منها هو التآلف والاجتماع، لكن حينما يتأمل الإنسان في نتائجها، وينظر في نهايتها، يجد أنها زادت الخلاف عمقاً، ولم تحقق شيئاً مما تسعى إليه من أهداف ونتائج مرجوة!

والسبب في ذلك كله أن أُلفتهم تَمَّت بغير الدين، واجتماعهم قام على أهواء ومصالح؛ فلذلك يبقى التفرق والاختلاف بينهم؛ لأن الكل يسعى في النهاية لمصلحته، ويبحث عن فائدته، ولا يوجد هناك دين وقيم إسلامية تؤلِّف بينهم، وتقارب بين وجهاتهم، فتبقى آراؤهم مشتتة، ووجهات نظرهم مختلفة.

ومن هنا يذكِّر الله -سبحانه وتعالى- المسلمين بأن هذه النعمة العظيمة -نعمة الدين- هي السبب الأعظم والباعث الأكبر في خلق الألفة بينهم، وإيجاد المحبة الحقيقية في قلوبهم، بعد أن كان بعضهم يعادي بعضاً: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ آل عمران [١٠٣].

لا بد أن نعلم أن أُلفتنا لن تتم إلا بالدين، والمحبة لن تقع بيننا إلا بواسطة الدين، وشتاتنا واختلافاتنا كلها لن تنتهي إلا بالألفة والمحبة التي تقوم على أُسس دينية وثوابت إسلامية؛ كما قال -تعالى-: ﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣ ﴾ الأنفال [٦٣].

فإنَّ القسوة في القلوب والغلظ في الأخلاق قد تكون في الإنسان دليلاً على نقصٍ كبيرٍ في الإيمان، وإذا زاد الإيمان في القلب وعمرت النفس بذكر الله ازدادت السماحة وازداد الحلم، واتسع الصدر للناس؛ فلا يقابل الجاهل بمثل جهله، ولكنه قول سلام وإعراض عن اللغو:﴿ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ٥٥ ﴾القصص [٥٥]، وقال في وصف عباد الرحمن: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾الفرقان [٦٣].
قال الله -تعالى-:

﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾. الزخرف [٦٧].

فالأُلفة التي لا تكون لله -عز وجل- سرعان ما تزول، وتتحول إلى عداوات ونفرة، وشر وقطيعة، وكم رأينا من صداقات حميمة تحولت إلى شر وعداوة؛ لأنها قامت على أخوَّة غير إسلامية!

بل كم رأينا من أزواج انتهوا مع زوجاتهم إلى الطلاق والمشاكل؛ والسبب في الغالب يكمن في أن اجتماعهم وألفتهم كانت بغير هدى الدين وطرقه الصحيحة، وإرشاداته السليمة...!

إن الألفة التي لا تكون لله ولا تقوم من أجل الله، حتى وإن قامت وتحققت فإنها سرعان ما تنتهي وتذهب وترجع إلى أصلها وصورتها الحقيقية، وتتحول إلى عداوات ونفرة، وشر وقطيعة.

لقد ضعفت الألفة والمؤاخاة بيننا ضعفاً كبيراً، وأثَّرت علينا الحياة المدنية تأثيراً واضحاً، وصرنا ينفر بعضنا من بعض، وقلَّت الرحمة في قلوبنا، وحصل التجافي بيننا إلا من رحم الله منا، ولم يعد التآلف الذي كان بين السابقين موجودًا عندنا، وأصبح لسان حال الواحد منا يقول: "نفسي نفسي".

إنها مأساة عظيمة نعيشها، ونفورٌ كبير نلمسه في واقعنا، ابتداءً من داخل بيوتنا، حيث تجد الأخ مع إخوانه وأخواته يتنافرون ولا يتآلفون؛ خلافات قائمة، ومشكلات متجددة، ونزاعات ثائرة، وألفة معدومة أو شبه معدومة.

تجد بعض الأزواج مع زوجاتهم في صراعات ومشكلات على أمورٍ تافهة، وربما تصل القضايا بينهم إلى المحاكم، وما ذاك إلا لأن الألفة انتُزعت وذهبت.

تجد بعضنا لا يعرف جيرانه، ولا يؤدي بعضهم حقوق بعض؛ لا يتزاورون، وربما تحصل بينهم مشكلات ونزاعات قد تصل للقضاء.

وربما يمر الواحد منا على إخوانه المسلمين في منطقته؛ فلا يكلّف نفسه حتى مجرد السلام عليهم، وما ذلك إلا لغياب الألفة.

وكان المفترض أن نقتدي بحال الصحابة الكرام؛ الذين وصفهم الله بالرحمة فيما بينهم؛ ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ ﴾. الفتح [٢٩].

كيف يعيش من لا يذوق لذة الألفة مع الآخرين؟!

كيف يبتسم؟!

كيف يقوم بعمله؟!

كيف يستلذ طعم الأكل والشرب والمنام وهو يشعر بثقله على الآخرين، أو لا يشعر لكن الآخرين يشعرون بذلك؟!

ربما حال الكبر دون الألفة، وربما البطر، وربما النسب أو الحسب، أو الجاه والمنصب، وهو لا يعلم أن الذكر الحسن هو الذي سيتبع جنازته، ويتخلى عنه ذلك كله.

فما بالك بمن يفقدها بين أفراد أسرته؛ بسبب غلظته وبطشه، أو بهجرانه لهم، أو نفرته منهم، أو بخله عليهم، وماذا سنقول بمن لا يسعى حتى في تآلفه مع زوجه وأبنائه وأهله.

فوائد الأُلْفَة:

أسباب التآلف والمحبة بين القلوب:

إنَّ هناك طرقاً دلّنا عليها الشرع الحنيف للتأليف بين القلوب ونشر المحبة بين المسلمين، فلا بد لنا من معرفتها والعمل بها مع الدعاء، ونذكر منها:

ويكون الفوز بمحبة الله -تعالى- عن طريق التقرب إليه بالنوافل، (وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ)، الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري | الصفحة أو الرقم : ٦٥٠٢ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

وعن طريق اتباع النبي -صلى الله عليه سلم-، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾. آل عمران [٣١].

هناك أسبابٌ كثيرةٌ تؤدِّي إلى الأُلْفَة والمحبَّة، وتقوي الروابط والعلاقات بين أفراد المجتمع المسلم فمنها:

١. التَّعارف ومعاشرة النَّاس: ومما يحصل به التأليف بين القلوب كذلك: التحبب إلى خلق الله وحسن معاملتهم؛ اعْلَمْ أَنَّ الْأُلْفَةَ ثَمَرَةُ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَالتَّفَرُّق ثَمَرَةُ سُوءِ الْخُلُقِ، فَحُسْنُ الْخُلُقِ يُوجِبُ التَّحَابَّ وَالتَّآلُفَ وَالتَّوَافُقَ، وَسُوءُ الْخُلُقِ يثمر التباغض والتحاسد والتدابر.

٢. التَّواضع: التواضع والتبسم، والبشاشة وطلاقة الوجه، وإدخال السرور بالكلام الطيب، والشكر والثناء الجميل، قال -صلى الله عليه وسلم-: (تبسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ صدقةٌ)، الصفحة أو الرقم: ١٩٥٦ | خلاصة حكم المحدث : صحيح التخريج : أخرجه الترمذي (١٩٥٦) واللفظ له، وابن حبان (٥٢٩)، وابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (٢٧٥/٥) باختلاف يسير.

وقال: الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ. الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٢٩٨٩ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩)

قال ابن عثيمين: (وظيفة المسلم مع إخوانه، أن يكون هيِّنًا ليِّنًا بالقول وبالفعل؛ لأنَّ هذا ممَّا يوجب المودَّة والأُلْفَة بين النَّاس، وهذه الأُلْفَة والمودَّة أمرٌ مطلوبٌ للشَّرع، ولهذا نهى النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام عن كلِّ ما يوجب العداوة والبغضاء). (شرح رياض الصالحين) (٥٤٤/٢).

٣. القيام بحقوق المسلمين والالتزام بها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((حق المسلم على المسلم خمسٌ: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس))، الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢١٦٢ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢). فهذه الحقوق التي بيَّنها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم كلَّها إذا قام بها النَّاس بعضهم مع بعض، حَصل بذلك الأُلْفَة والمودَّة، وزال ما في القلوب والنُّفوس مِن الضَّغائن والأحقاد.

٤. إفشاء السَّلام: قال -صلى الله عليه وسلم-: ((يا أيُّها النَّاس أفشوا السَّلام، وأطعموا الطَّعام، وصلوا الأرحام، وصلُّوا باللَّيل والنَّاس نيام، تدخلوا الجنَّة بسلام)). الراوي : عبدالله بن سلام | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: ٢٦٤٨ | خلاصة حكم المحدث : صحيح

٥. زيارة المسلم وعيادته إذا مرض: فزيارة المسلم لأخيه المسلم تبعث على الحبّ والإخاء، ولا سيَّما عند المرض، مع ما أعده الله من الأجر والثواب له قال صلى الله عليه وسلم: ((مَن عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوَّأت مِن الجنَّة منزلًا)). الراوي : أبو هريرة | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ٢٠٠٨ | خلاصة حكم المحدث : حسن التخريج : أخرجه الترمذي (٢٠٠٨) واللفظ له، وابن ماجه (١٤٤٣)، وأحمد (٨٣٢٥)

٦. الكلام اللَّين: فالكلام اللَّين والطَّيب مِن الأسباب التي تؤلِّف بين القلوب، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾. الإسراء [٥٣].

٧. التَّعفُّف عن سؤال النَّاس: قال صلى الله عليه وسلم: "لا يَفتحُ أحدٌ على نفسِه بابَ مسألةٍ إلا فتحَ اللهُ عليه بابَ فقرٍ لأنْ يأخذَ أحدُكم أحبُلَه فيأتيَ الجبلَ فيحتطبَ علَى ظهرِه فيبيعَه فيأكلَه خيرٌ له مِن أنْ يسألَ الناسَ مُعطًى أو مَمنوعًا" الراوي : أبو هريرة | المحدث : ابن جرير الطبري | المصدر : مسند عمر | الصفحة أو الرقم : ١٩/١ | خلاصة حكم المحدث : إسناده صحيح

٨. السَّعي للإصلاح بين النَّاس: قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾ . الأنفال [١].

٩. الاهتمام بأمور المسلمين والإحساس بقضاياهم: قال صلى الله عليه وسلم: ((المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسَّهر)). الراوي : النعمان بن بشير | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٠١١ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

١٠. التَّهادي: لا شك أن تقديم الهديَّة يزيد مِن الأُلْفَة والمحبَّة والتَّقارب بين المهدي والـمُهْدَى إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: ((تهادوا تحابُّوا)). الشيخ محمد بن عثيمين \ بلوغ المرام - شرح كتاب البيوع -٤١

١١. حسن الخلق: (اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق، فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محمودًا كانت الثمرة محمودة). (إحياء علوم الدين) (٢/ ١٥٧).

وفي الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، الْمُوَطَّؤُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ، وَيُؤْلَفُونَ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَأْلَفْ وَلَمْ يَأْتَلِفْ) شعب الإيمان، حسن الخلق. قال الشيخ الألباني رحمه الله : " وفي " المجمع " (٨ / ٢١) -ابن أبي حاتم (٤ / ٢٠٣) "

يألفون ويؤلفون:

إنَّ من أعظم ما أمر الله -سبحانه وتعالى- به المؤمنين هو التآلف والتآزر والمحبة؛ فالألفة بين الناس والتحابّ بينهم يجلب لهم رضا الله ورحمته.

إن تآلفك مع أحبابك وانسجامك معهم لن تجد منه فقط محبة من حولك فقط، بل هو طريقك إلى الخيرية التي قال عنها النبي -صلى الله عليه وسلم-: (المؤمن مؤلِّف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس) الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : الألباني | المصدر : السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم: ٩٠٦ | خلاصة حكم المحدث : صحيح التخريج : أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٦٠٢٦)، وأبو الشيخ في ((التوبيخ والتنبيه)) (٩٧) باختلاف يسير.

قال المناوي في قوله: "المؤمن يألف"؛ لحسن أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه. ((فيض القدير)) (٦/٣٢٩)

وقوله: "ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف"؛ لضعف إيمانه وعسر أخلاقه وسوء طباعه.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (إنَّ أحبكم إليَّ أحاسنكم أخلاقًا، الموطؤون أكنافًا، الذين يألفون ويؤلفون (قال الألباني: حسن لغيره).

الألفة ثَمَرَة حُسْن الْخلق والتفرق ثَمَرَة سوء الْخلق، فَحُسن الْخلق يُوجب التحبب والتآلف والتوافق، وَسُوء الْخلق يُثمر التباغض والتحاسد والتناكر.

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم) رواه مسلم. الراوي : عوف بن مالك الأشجعي | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ١٨٥٥ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

خيار الناس في نظر الشرع هم الذين يألفون ويؤلفون، وخاصة حين يكونون في منصب أو مسؤولية، إذ قد ينزلقون إلى صور من الغلظة والجفوة والتعالي بسبب ما هم فيه من الرئاسة.

من هم الذين يألفون ويؤلفون؟

المؤمنون الصادقون قوم يألفون ويؤلفون مما لهم من حسن الخلق، يأنس بعضهم ببعض، لا يشعر من يجالسهم بوحشة أو ضيق نفس، بل يرى فيهم انشراح الصدر وبشاشة المحيا والتودد والمحبة؛ حتى لا يمل مجالستهم، ولا يطول بهم الوقت معهم.

فما أمس حاجة الإنسان إلى الألفة؛ فبها يتعايش مع كل من حوله من أهل وجيران وأصدقاء وزملاء، بل هي الطريق إلى انسجام هذه الأرواح.

وأمر الانسجام أمر ليس بالهين حيث اختلاف الآراء وتنوع وجهات النظر، وتلوّن النفوس وطبائعها المتغيرة؛ فمنهم أهل الصفاء، ومنهم الحاسدون، ولا يوجد مثل الألفة تستطيع بها بعد الله -تعالى- أن تجمع هذه المختلفات، وتألف بينها في نسق، يبعث بالراحة والألفة.

ما أحوجنا إلى هذه المعاني السامية، وما أشد افتقارنا إلى التخلق بالرحمة والتعاطف والتكافل وهذه القيم العظيمة التي تضمّد جراح المنكوبين، والتي تواسي المستضعفين المغلوبين، وتدخل السرور على المحزونين.

فأين نحن من قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (أحب الناس إلى الله أنفعهم وأحب الأعمال إلى الله -عز وجل- سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه ديناً أو تطرد عنه جوعاً ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضاً يوم القيامة ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام وإنَّ سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل) صحيح الجامع. الراوي : عبدالله بن عمر | المحدث : الطبراني | المصدر : المعجم الأوسط | الصفحة أو الرقم : ١٣٩/٦ | خلاصة حكم المحدث : لم يرو هذا الحديث عن عمرو بن دينار إلا سكين بن سراج تفرد به عبد الرحمن بن قيس | التخريج : أخرجه أبو الشيخ في ((التوبيخ والتنبيه)) (٩٧)، والشجري في ((الأمالي)) (٢٢٩٨)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٧/٦٤) باختلاف يسير

وإن كانت عندك رحمة لكل مسلم رحمة عامة ترحم بها جميع خلق الله من حوله، رحمة لا تقوم على القرابة والرحم والبلاد والصداقة أو القبيلة ولكنها رحمة تشمل الجميع من تعرف ومن لا تعرف؛ ابتداء بالوالدين قال تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾الإسراء [٢٤].

وكذلك الزوجة والأولاد والعمال والجيران والأرحام والمحتاجين والفقراء والأيتام وأصحاب العاهات والمعاقين والمرضى وكبار السن ويرحم الحيوان والطير ويرحم حتى الكافر المسالم والذمي المعاهد.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داود والترمذي.

الراوي : عبدالله بن عمرو | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم: ١٩٢٤ | خلاصة حكم المحدث : صحيح التخريج : أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)،وأحمد (٦٤٩٤)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) الراوي : أبو هريرة | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٥٩٩٧ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه البخاري (٥٩٩٧) واللفظ له، ومسلم (٢٣١٨)

وهناك رحمة الوالي والمحافظ والأمير والوزير وكل ذي منصب بمن هم تحت مسؤوليته من الناس وهذا عامٌّ لكل من ولي أمراً من أمور المسلمين أن يرحمهم ويرفق بهم.

فالألفة تحتاج منك إلى شيء من الجهد والتضحية والتنازل عن بعض الحقوق، وعدم الاكتراث ببعض المواجهات ولو كانت عنيفةً أحيانًا بين الإخوان، ويحتاج منك تقوى ونية صالحة وقول جميل؛ هذا هو الذي يستطيع أن يتآلف مع الناس.

أما من يتفاخر بقوة المجادلة، والانتصار في النقاش، ويعد التنازل عن بعض الحقوق إهداراً لكرامته؛ فهذا أبعد ما يكون من الألفة.

إنَّ المجتمع المسلم قائم على علاقة الأخوة الإيمانية بين أفراده، فالمسلم أخو المسلم، مهما كان شكله ولونه، ومهما كانت رتبته ومنزلته لا فرق بينهم، ولا يجوز لأحد أن يتكبر على أحد، أو أن يكره أحدًا، أو أن يحقد على أحدٍ، أو أن يرى نفسه خيراً منه أو أزكى أو أعلى، فهذا يتنافى مع أسس العقيدة، ويخالف أوامر الدين.

بل يجب أن تسود بينهم روح الأخوة بما تحمله من قيم التسامح والتراحم والعطف والإحسان والمحبة.

وقد جاءت كثيرٌ من النصوص الشرعية الصحيحة الصريحة تؤكد هذه المعاني، وتشدد عليها بكل وضوح، قال -تعالى-: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾. الحجرات [١٠].

وقد مدح الله -سبحانه- المهاجرين والأنصار عندما ضربوا أروع الأمثلة في التآخي والتآلف والمودة والإيثار، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ الحشر [٩].

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (مَثَلُ المُؤْمِنِينَ في تَوادِّهِمْ، وتَراحُمِهِمْ، وتَعاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَداعَى له سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والْحُمَّى) الراوي : النعمان بن بشير | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٠١١ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

وقال أيضاً: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)الراوي: أنس بن مالك | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ١٣ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه مسلم (٤٥) باختلاف يسير

وقال: (المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلِمُهُ ولا يخذُلُهُ ولا يحقِرُهُ، وحسْبُ امرئٍ منَ الشَّرِّ أن يحقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ) الراوي : أبو هريرة | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٥٦٤ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه البخاري (٦٠٦٤) مختصراً، ومسلم (٢٥٦٤).

فمن أعظم الأخطار أن تتفرق قلوب المسلمين، وتمتلئ حقداً وغلاً وتكبراً -والعياذ بالله- لأن ذلك هو نذير الشر، فزوال المحبة من القلوب هو دليل على نقص الإيمان وضعفه، وتمهيدٌ لزواله؛ لأن الإيمان هو سبب المحبة والمودة بين المؤمنين.

فأوصي نفس وإياكم بالتآلف والتناصر، والتآزر والتلاحم، والبعد كل البعد عن العداوات والخلافات، وأن نتجنَّب ما استطعنا من أسبابها.

ومن هنا تكون أهمية دعاء الألفة بين القلوب وإصلاح ذات بيننا، وهدوء النفس والراحة والاطمئنان (اللَّهم ألف بين قلوبنا)؛ أي اجعل بينها الأنس والمودة والتراحم؛ لنثبت على الإسلام، ونقوى على الإيمان؛ لنصرة دينك، ونكون على قلب واحد كالجسد الواحد.

وهذا الدعاء يعتبر من الأدعية الجميلة التي تعمل على تأليف القلوب وتهدئة النفوس والابتعاد عن الغضب، وإشعال الحروب.

وهذا الدعاء له مفعول السحر في التأليف بين قلوب الداعي والمدعو له والبعد عن خلافات محتملة، وذلك من خلال ما بهذا الدعاء من إصلاح النفس والاعتماد على ما يدعمه الدين الإسلامي من المحبة والتسامح.

إذا صلح الدين وصلحت عبادة المسلم لله تعالى من صلاة ودعاء وغيرهما من العبادات فقد صلح كل شيء لدى الإنسان.

وتعتبر الألفة بين القلوب دليلاً على صلاح الدين وثبات الإيمان.

ومن هنا تأتي أهمية وفضل دعاء "اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا" فهو مهم حتى تلين القلوب إلى بعضها البعض وتزداد المحبة بين القلوب، والابتعاد عن أي مشاحنات بينهم سواء داخل البيت الواحد أو في المجتمع، والدعاء وسيلة للابتعاد عن حدوث مشكلات في المجتمع.

وحتى يصل الإنسان إلى الهدف من الهداية للسلام والاستقرار يكون باللجوء إلى الله تعالى من أجل الألفة.

فمن المعروف أن الغضب داء يسيطر على العديد من البشر، ويكون هذا الغضب إما طبع في الإنسان من صغره نتيجة نشأته وتربيته، أو ربما يكون نتيجة ضغوطات عنيفة تعرض لها.

أو ربما يكون في أوقات كثيرة وسوسة من الشيطان، من أجل إثارة المشاحنات بين البشر، وإشعال الأزمات والمشكلات بين الناس، ومحاولة تصعيدها إلى ما لا يُحمد عقباه.

ومن هنا كانت أهمية اللجوء إلى الله تعالى من أجل الإصلاح والألفة بين القلوب، وإزالة الغضب من النفوس، وتهدئة القلوب، فذكر الله يطفئ النيران المشتعلة في نفوس البشر، ويضع السكينة داخل قلوبهم، ويبعد عنهم وساوس الشيطان.

فالله -سبحانه وتعالى- القادر على نزع الغل والعداوة من قلوب البشر اتجاه الآخرين، وتحقيق المحبة، ونشر السلام والود بين كافة البشر.

فيجب على الإنسان أن يحرص على هذا الدعاء؛ من أجل الاستعانة بالله تعالى لتفادي العديد من المشكلات، والوصول إلى الحلول المناسبة دون أي تصعيد غير مناسب.

وينبغي على كل مسلم أن يحرص كل الحرص على الدعاء لأمَّة الإسلام جماعةً وأفرادًا بالألفة والصلاح، وزوال الفرقة والشتات، وتحقق اجتماع الكلمة والله -جل وعلا- لا يخيِّب عبدًا دعاه، ولا يردُّ مؤمنًا ناجاه.

وفي نهاية موضوعنا هذا نسأل الله تعالى لنا ولكم الفضل العظيم والخير الكثير، والبعد عن المشاحنات والمشكلات، ونسأله الألفة بين القلوب وإصلاح الخلافات.

اللهم أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

م	المراجع
١	شرح الدعاء من الكتاب والسنة (اللهم ألف بين قلوبنا): الكلم الطيب.
٢	تأليف القلوب (موقع مستجاب).
٣	أسباب الأُلْفَة، فوائد الألفة، أقوال السلف (الدرر السنية).
٤	تفسير الشيخ السعدي.
٥	دعاء اللهم ألف بين قلوبنا (موقع فكرة).
٦	نعمة التأليف بين القلوب (الألوكة).
٧	الألفة بين المسلمين (ملتقى الخطباء - الفريق العلمي).
٨	التآلف والتراحم من مقاصد الصوم (حسان أحمد العماري).